متغيرات وتحديات أمام الواقع الثقافي للمسلمين في الغرب

الدكتور حسن عزوزي
جامعة فاس. المغرب

لا خلاف في أن المتغيرات الدولية والتطورات العالمية سنة كونية تخضع للرغبات والحاجات الإنسانية وتعتمد الطاقات والإمكانات وتتفاعل مع الأوضاع والأحوال، وقد عرف العالم المعاصر تحولات كبيرة في مختلف المجالات والقطاعات التي تحرك عجلة العلم والتكنولوجيا في العالم، والعالم الإسلامي يتعامل مع هذه المتغيرات والتحولات بحسب ما يتسجم مع مبادئه وأهدافه وثقافته.

ومن الواضح أن العالم الإسلامي يواجه خلال القرن الخامس عشر الهجري متغيرات عالمية كبرى تؤثر كثير منها في التوجهات السياسية والثقافية والاجتماعية للبلدان الإسلامية وتمس مبدأ الحفاظ على مستوى الهوية الثقافية وحماية الشخصية الإسلامية.

ويعتبر الحقل الثقافي أبرز الحقول المتأثرة بالمتغيرات والتحولات الدولية الراهنة خاصة على مستوى اشتداد الصراع الثقافي وسيادة الثقافة العالمية في كل الميادين، فالتحدي الكبير الذي سيواجهه العالم في السنوات القادمة هو "تحد ثقافي بالأساس"(1).

وإذا أخذنا الواقع الثقافي الإسلامي في الغرب نجد أنه قد ناله قدر كبير من الأضرار التي تسببها المتغيرات الدولية الحالية وأصابته آثارها السلبية التي أفرزتها تداعيات بعض الأحداث السياسية والثورات العلمية والثقافية.

ومن خلال تشخيص بعض المتغيرات والتحولات الدولية المؤثرة في العمل الثقافي الإسلامي في الغرب يتبين أن كثيرا منها تشكل تحديات خطيرة نظرا لتأثيراتها وانعكاساتها السلبية، كما أنه بالرغم من أهمية المكونات البشرية والمؤسساتية التي يتوفر عليها المشهد الثقافي الإسلامي في الغرب، فإن واقع الأمر

يؤكد لنا وجود العديد من التحديات والمعوقات التي من شأنها إضعاف أثر العمل الثقافي الإسلامي في نفوس أبناء الجاليات والأقليات الإسلامية.

ونقف في هذا المستوى عند جملة من المتغيرات والتحديات التي تؤثر في صورة الواقع الثقافي الإسلامي في الغرب.

أولا: التحولات الضخمة على مستوى الإعلام وتحدياتها

مما لاشك فيه ان المتغيرات الدولية المرتبطة بالتحول الضخم والهائل على مستوى الإعلام وما تفرزه من تحديات كبيرة لها تأثيرها الحتمي على العمل الثقافي الإسلامي في بلاد المهجر خاصة أمام إحكام السيطرة الغربية على مختلف وسائل الإعلام المكتوبة والمسموعة والمرئية، حيث يخاطب الغرب بأفكاره ومبادئه وقيمه شعوب العالم الثالث ومن ضمنها مجموع الجاليات الإسلامية في الغرب، مما أثر كثيرا عليها على حساب عقيدتها وثقافتها ودعوتها. ومن أبرز التحديات التي يفرزها هذا التحول الضخم والتطور الهائل في الإعلام الغربي ما يلي:

1-1: الإعلام الغربي الموجه الحاقد على الإسلام

قبل بروز الصحوة الإسلامية العارمة لم يكن الإعلام الغربي يتعرض للإسلام أو يهتم به، لكن بمجرد أن رأى الغرب في الإسلام دينا يحمل في جوهره قدرة خارقة على الامتداد جغرافيا واكتساح القلوب المقبلة على اعتناقه سعى إلى مجابهته وتشويه صورته وتمييع حقائقه عبر مختلف وسائل الإعلام الغربية المكتوبة والمسموعة والمرئية، وقد باتت حملات التشويه والتمييع الإعلامية التي توجه ضد الإسلام وأتباعه ذات أثر بالغ في تكوين صورة سلبية موغلة في الازدراء والاستخفاف بالإسلام ومثله ومبادئه، وبالمسلمين وعاداتهم وقيمهم.

ولا يخفى ان الإعلام الغربي بما أضحى يمتلكه من قدرة هائلة على الانتشار وقوة الجذب والتأثير قد استطاع أن يجعل الصورة النمطية عن الإسلام والمسلمين ضمن اهتمامات الإنسان الغربي. وهكذا تكون إعلام موجه حاقد يؤثر على صورة الإسلام في الغرب ويعرقل مهمة القائمين والساهرين على الشأن الثقافي الإسلامي في بلاد المهجر.

1-2: الغزو الإعلامي

مع بدء الاستخدام المكثف للأقمار الصناعية في مجال الإعلام أصبح هناك مجال واسع لتأثير القنوات والبرامج التي تحمل الأفكار والعقائد الفاسدة ومشاهد

العنف والجنس والجريمة على أخلاقيات الجاليات الإسلامية وشخصياتهم من خلال انتشار المفاهيم الاجتماعية والسلوكية الغربية بفعل غريزة التقليد والمحاكاة(2).

ولا يخفى على المتتبعين والمهتمين بالواقع الثقافي الإسلامي في الغرب أن الجاليات الإسلامية يشتكون ويتبرمون من كون أبنائهم وبناتهم يعزفون عن مشاهدة القنوات الفضائية العربية نظرا لعدم استيعاب معظمهم للغة العربية ويتوجهون – بالمقابل– إلى استقبال القنوات الغربية بجميع أطيافها وأصنافها، وهي تلتقي جميعها على طمس معالم هوية الناشئة المسلمة وذاتيتها من خلال ما يلي:

•– فرض الثقافة الغربية بكل مكوناتها نتيجة التدفق الإعلامي الهائل والمتنوع.

•– نشر ثقافة الإباحية والجنس تحت شعار الحرية.

•– طرح الشبهات حول العقيدة عن طريق قنوات التنصير المتعددة التي تتنافس وتتبارى من أجل نسج طرق أجدى في الإقناع والإغراء والتمويه.

•– إغراء الناشئة بالجوانب المبهرة من الحضارة الغربية وزخرفها وتزيينها ومحاولة ترسيخ الاعتقاد بأن اتباعها هو السبيل الوحيد للتقدم والتحضر(3)

1-3: تحطيم الروح المعنوية للناشئة المسلمة

يتجلى هذا الأمر فيما يعرف بالحرب الإعلامية النفسية حيث ينهج الإعلام الغربي إلى التأثير في آراء وعواطف ومواقف وسلوك أبناء الجاليات بطريقة تساعد على تحقيق أهداف التغريب من جهة والتهوين من شأن الثقافة الإسلامية الأصيلة من جهة أخرى وذلك من خلال تحطيم الروح المعنوية للناشئة المسلمة. وهذه السياسة الإعلامية المتبعة تزلزل عقول الناشئة المسلمة وتبلبل أفكارها وتبالغ في تزيين القول وتشويه الحقائق، معتمدة على تقنيات المعلومات المتطورة وأساليب الإبداع التمويهية للتأثير في الشخصية الإسلامية وبلوغ أهداف منها:

•–الدفع بالإحساس بالنقص والتشاؤم.

•–زرع الهزيمة النفسية قصد إعادة تشكيل العقل والفكر وتغريبهما.

•–التشكيك في مدى صلاحية الثقافة الإسلامية في بلدان المهجر وزعزعة الإيمان بالمبادئ والقيم والمثل الإسلامية الأصيلة.

ثانيا: عولمة الثقافة

لاشك أن موضع العظمة والسمو في ديننا وثقافتنا يتمثل في هذا الجمع بين عدد من الثوابت والمسلمات التي تكون بنية أساسية لثقافتنا والقدرة غير المحدودة على التجاوب مع المتغيرات الجديدة وتوظيف الصالح منها من خلال جهود إنسانية مسؤولة يخدم القيم العليا والمصالح الكبرى للأفراد والأمة.

ولا يتصور أبدا أن نتخلى عن هذه المهمة الثقافية الإنسانية الكبرى اكتفاء بموقف دفاعي انكماشي يمليه الإحساس المبالغ فيه بالضعف والعجز عن التعامل مع كل جديد(4).

وإذا كانت العولمة أبرز المتغيرات الحديثة التي طلعت علينا بعنفوانها وقوتها على العالم متحدية خصوصيات الشعوب وثوابتها، فإنه لا يتصور أبدا التخلي عن هذه المهمة الثقافية الإنسانية وبهذا المنهج قد تتحول تحديات العولمة إلى استنهاض الإرادات نحو النضال من أجل استعادة حرية الإنسان في أن يتماهى مع هويته ويحقق فيها ذاته عن طريق التميز والاختلاف.

وإذا كانت تحديات العولمة قد ألقت بظلالها على العالم الإسلامي، فإن الأقليات والجاليات الإسلامية في الغرب تعاني من شدة وطأتها وحدة تأثيرها على أبنائها بحكم العيش في مجتمعات معولمة تجري فيها محاولة عولمة القيم والأخلاق والثقافة وأنماط العيش والسلوك، وفي ظل هذه العولمة الثقافية الشاملة يراد أيضا أن تتعولم هويات وخصوصيات الأقليات والجاليات الإسلامية.

إن انعكاسات العولمة الثقافية على الجاليات الإسلامية وتداعياتها المؤثرة على الواقع الثقافي الإسلامي في الغرب متعددة ومتنوعة، ويمكن مقاربة بعضها من خلال النقاط التالية:

2-1: تأثير العولمة على الواقع الثقافي الإسلامي في الغرب

إذا كانت مكونات الواقع الثقافي الإسلامي في الغرب تتحدد في جملة من المقومات والمرتكزات التي تسير على تفعيلها وتعزيزها فعاليات إسلامية ومؤسسات ثقافية فاعلة، فهل هناك تأثير بالغ لتيار العولمة الجارف على العمل الثقافي الهادف إلى الحفاظ على الهوية الإسلامية والخصوصيات الثقافية.

إن مما لا شك فيه ان التأثير حاصل بقوة وحدة أكثر مما هو عليه الحال في العالم الإسلامي، غير أنه لا ينبغي اعتبار الأمر حتميا لا فكاك منه، لأن في

ذلك انهزاما داخليا لا يقره الإسلام بما يتضمنه من مبادئ وقيم ثابتة وراسخة. إن حقائق الأشياء تؤكد أن العولمة لا تمثل خطرا كاسحا ومدمرا إلا على الشعوب والأمم التي تفتقر إلى ثوابت ثقافية أما تلك التي تمتلك رصيدا ثقافيا وحضاريا غنيا فإنها قادرة على الاحتفاظ بخصوصياتها والنجاة من مخاطر العولمة وتجاوز سلبياتها(5).

ولذلك فإن قادة العمل الثقافي الإسلامي في الغرب المخلصين بما يتوفرون عليه من إيمان قوي واقتناع تام برصيد الأمة الغني بالثوابت والمسلمات والبداهات قادرون على توجيه أبناء الأقليات والجاليات الإسلامية إلى ما يصونهم من سلبيات العولمة الثقافية وآثارها المدمرة والاستفادة بالمقابل ببعض الجوانب الإيجابية -على قلتها- وتوظيفها التوظيف السليم " إن المسألة في حاجة شديدة إلى ضبط منهجي نتحكم به في العولمة بأعلى ما نستطيع من قدرات، وبذلك نسلك طريقنا إلى الاستفادة من العولمة على النحو الذي يدفعنا إلى الإسهام في الحضارة الإنسانية الجديدة من موقعنا الثقافي المتميز وبخلفيتنا التاريخية وبرؤيتنا الحضارية المتفردة"(6).

وإذا كان الانفتاح أو التواصل الثقافي سببا من أسباب نماء الثقافة وتطورها فإن على القائمين على العمل الثقافي الإسلامي في الغرب التعامل مع العولمة من موقع الثقة بالنفس والإدراك العميق لخصائص الثقافة الإسلامية وقوتها واستيعاب مقوماتها الأصيلة ومبادئها السامية وتعريضها للتفاعل والتكيف مع الثقافة العالمية الوافدة أخذا وعطاء والتعامل مع مستجداتها ومتغيراتها بوعي وانضباط.

2/2: العولمة والهوية الثقافية للجاليات الإسلامية في الغرب

لا خلاف في أن الهوية التي تكون لأمة من الأمم أو شعب من الشعوب إنما تتحقق من خلال " هوية ثقافية"، وقوام كل هوية ثقافية ذات بنية عضوية متماسكة هو العقيدة التي تنشئ منظومة من القيم القادرة على تفعيل الإرادات المختلفة من أجل الحفاظ على سلامة المجتمع من الذوبان، وأبناء الجاليات والأقليات الإسلامية في الغرب يجدون أنفسهم أمام إغراءات العولمة الثقافية الغازية من جهة ومستلزمات الحفاظ على الهوية الثقافية الإسلامية والوطنية من جهة أخرى، لذا فإن دعوتهم إلى التفاعل الثقافي مع العولمة أخذا وعطاء في حدود الضوابط المشروعة يستلزم أمورا منها:

* القدرة على الإسهام والمشاركة الفعالة في إبراز الثقافة الإسلامية وتعزيز آفاق نشرها وبثها في أوساط المسلمين المغتربين.

* إن أمر الحفاظ على معالم الشخصية الإسلامية والهوية الثقافية للجالية المسلمة المقيمة في ديار المهجر يحتاج إلى برامج مختلفة للعمل الثقافي تكون مناسبة للأوضاع الخاصة التي تمر بها في ظلال عولمة ثقافية كاسحة، فإذا كان من الضروري الحفاظ على الثوابت المميزة للهوية الإسلامية فلابد أيضا من القيام بما هو ضروري من تغييرات يطبعها التفتح على التفكير المتجدد الذي يأخذ بعين الاعتبار المتغيرات الثقافية المشروعة.

* لابد أن تتكامل العولمة والهوية ليصبح العالم واحدا ومتعددا في آن واحد (7) كما أن العولمة محكوم عليها أن تتعايش مع الهوية في إطار التنوع الثقافي. وهذا الأمر يجدر السعي إلى تحقيقه في مجتمع الأقليات الإسلامية للظروف الخاصة التي تفرضها ضرورة التوفيق المشروع بين المكتسبات والمتغيرات وبين الأصالة والمعاصرة. وإذا كان الإسلام يثبت للهوية نوعا من الثبات والأصالة والاستمرار فإنها من دون شك قابلة للتكيف -إلى حد ما- مع المتغيرات الثقافية التي يؤكد الواقع الحالي من خلالها الطفرة الكبيرة التي عرفها انتقال العلاقات الإنسانية والأفكار والقناعات الفكرية من البساطة إلى التعقيد ومن التقليد إلى التجديد(8).

* إن الجاليات والأقليات الإسلامية في الغرب لا يمكنها أن تحمي هويتها الثقافية وشخصيتها الإسلامية إلا إذا استطاعت أن تحصنها بتعميقها و تفعيلها بل انه يتحتم عليها أن تنتقل في الحفاظ على هويتها وذاتيتها من موقع الدفاع إلى موقع البناء والمواجهة التي تعني العمل على نشر إشعاع الثقافة الإسلامية الأصيلة وبث القيم الروحية والدينية وسط الفراغ الروحي والثقافي الذي يقض مضجع الناشئة المغتربة.

ثانيا:الأسرة المسلمة في الغرب ورياح التغريب

تعتبر الأسرة المسلمة في الديار الغربية أهم المؤسسات الاجتماعية التي تنتج الوجدان الثقافي والتربوي عن طريق مجموع القيم والأخلاق التي تنشرها وتوزعها على سائر أفرادها وتلقنهم إياها على اعتبار كونها تشكل جهاز المناعة ضد رياح التغريب والعلمنة. غير أن العولمة الثقافية وتأثيراتها السلبية التي عملت على تفكيك

بنية الأسرة وتهوين قدرتها على الاستمرار كمرجعية أخلاقية وتربوية للناشئة تعتبر من الأمور التي تؤرق الجهات والمنظمات المعنية التي يقع على عاتقها عبء المحافظة على القيم المكتسبة لأفراد الجاليات والأقليات الإسلامية في الغرب.

من جهة أخرى خططت المدرسة الغربية لتكسير البنية المرجعية للطفل المهاجر، وذلك بواسطة عمليات هدم ممنهجة للقيم التي حملها من أسرته وثقافته الأصيلة، لذلك نلاحظ أن المدرسة تساعد على إيجاد نوع من التباعد الثقافي بين الطفل وأسرته"(9).

لقد تأثر دور الأسرة المسلمة في مجال التربية والتثقيف وأضحت السلطة الأبوية داخل الأسرة تتراجع وتضمحل تدريجيا لتفسح المجال لمصادر جديدة لإنتاج القيم الأسرية تعيشها الناشئة عموما في بلاد المهجر في الشارع والمدرسة ومن خلال الإعلام المرئي بكل مكوناته، الأمر الذي يهدد باضمحلال الثقافة التقليدية الأصيلة التي كانت تتسلل بتلقائية طبيعية إلى الأبناء من خلال الأسرة الملتزمة بتعاليم الإسلام وقيمه ومثله.

إن من المتغيرات الخطيرة التي أضحت تهدد الأسرة المسلمة ما أصبحت تعرفه المجتمعات الغربية من "انفلات" أخلاقي وتربوي، حيث تسود ظاهرة التسيب العام لدى الأطفال المراهقين وتنتشر عوامل الإغواء والإغراء مما يضعف الوازع الديني والأخلاقي لدى الأبناء الذين يجدون أنفسهم فريسة لصراع داخلي بين دافع الوفاء لقيم الأسرة الثقافية والاجتماعية والرغبة في الانسياق وراء عوامل الإغواء وتحقيق الأهواء والرغبات. وهنا تكون الناشئة المسلمة في أشد الحاجة إلى قيم التحصين التي تؤدي الأسرة أكبر دور في تفعيلها وتنميتها وهو ما أسست المراكز الثقافية والجمعيات الإسلامية في الغرب تسعى إلى تعزيزها وبثها إلى الأطفال والشباب في محاولة منها لتأسيس " ممانعة ثقافية "لديهم تتصدى للانعكاسات السلبية للعولمة الثقافية الجارفة.

بيد أن ثمة صعوبات تعترض محاولات التحصين هاته وهي تنبع من الأسرة المسلمة ذاتها نلخصها فيما يلي:

أ- مشكلة الزواج المختلط خاصة عندما تكون الأم غير مسلمة وهي الحالة التي تعرفها كثير من أسر الجاليات الإسلامية في الغرب حيث يكون أمر تربية الأبناء تربية إسلامية رشيدة هدفا غير ميسّر.

ب- غياب النموذج المحتذى أو القدوة والمثال في الوسط العائلي، وهذا أمر شائع نظرا لتفشي الأمية وضعف المستوى الثقافي من جهة وغياب أو ضعف التطبيق العملي للشعائر والأحكام الشرعية في الوسط الأسري من جهة أخرى مما يسهم في ضعف التأطير التربوي لدى المسؤولين.

ج- عدم القدرة على التحكم في الأطفال والشباب وجعلهم يستجيبون للتوجيهات والإرشادات العائلية وذلك بالرغم من أن كثيرا من الأسر المهاجرة من الجيل الأول تحمل آراء ومفاهيم أصيلة وصالحة في ميادين التربية وتهذيب السلوك، لكنها لا تستطيع أن تترجمها واقعيا إلى أعمال وممارسات.

د-انشغال الأبوين عن الأبناء بالانغماس في مشاكل العمل وظروف الإقامة الصعبة وضغوط الحياة اليومية مما يلغي مبدأ متابعة ومراقبة الأبناء على المستوى التربوي والتعليمي.

هـ- عزوف المرأة المسلمة عن الانخراط في المجال الاجتماعي المؤسساتي (المساجد-المراكز والجمعيات والأندية الثقافية) والمشاركة في دورات تعلم المهارات والخبرات مما قد يحد من مستواها وكفاءتها وقدرتها على تفعيل دورها التربوي داخل الأسرة في بلاد المهجر.

إن كل هذه العوامل ينجم عنها ضعف التأثير الأسري في مجال تربية الأبناء مما يؤدي إلى وقوعهم ضحية الانحراف والانحلال الخلقي وفريسة في أيدي رفاق السوء في المجتمع الغربي.

ثالثا: تداعيات أحداث 11 شتنبر 2001

لا يشك أحد في أن أحداث 11 شتنبر 2001 قد أفرزت تداعيات خطيرة على مستوى العلاقة بين المسلمين والغرب، ولعل أبرز تلك التداعيات بروز موجة من الحقد والكراهية والاستفزاز ضد العرب والمسلمين وخاصة في صفوف أبناء الجاليات الإسلامية في الغرب.

وتأتي هذه الأحداث لتضاف كواحدة من أبرز المتغيرات الدولية الراهنة التي ألقت بظلالها القاتمة على واقع المسلمين في الغرب على كل المستويات وتبدو معالم ذلك من خلال ما يلي:

1: مراقبة المساجد والمراكز الثقافية الإسلامية في الغرب، حيث تم تضييق الخناق على العمل الثقافي والديني من خلال مراقبة تحركات المسلمين وأئمة المساجد وأبناء الجاليات النشطاء دعويا وثقافيا وكذا أصحاب الكفاءات العلمية.

2: تكوُّن صورة نمطية مشوهة عن المسلمين المقيمين في الغرب، حيث يمكن اعتبار الصورة

العامة التي تكونت في أذهان الغربيين عن الإسلام والمسلمين في الغرب سلبية إلى أقصى حد تمخض عنها انتعاش جديد لروح الكراهية والحقد وممارسة مضايقات استفزازية والاعتداء على المساجد والمراكز الإسلامية ومواقع الانترنت لبعض المنظمات والهيئات الإسلامية المقيمة في الديار الغربية، وقد كان لكل هذا أكبر التأثير على مجال العمل الثقافي الإسلامي في الخارج والحد من حرية نشاطه.

3: توجيه أصابع الاتهام برعاية الإرهاب إلى كثير من الأئمة والدعاة والمثقفين المسلمين بالغرب كما حدث في إيطاليا أياما قليلة قبل شهر رمضان 1424 وكذا إلى مؤسسات وجمعيات ومنظمات ثقافية تنشط في الديار الغربية وذلك بدعوى نشر ثقافة دينية تحرض على التطرف والعنف ضد الحضارة الغربية.

خامسا: في المجال التربوي والتعليمي

"جرى التأكيد على الأهمية الخاصة التي يحتلها الحقل التربوي –التعليمي في العمل الثقافي الإسلامي في الغرب، إذ أن كل تقدم يحرز في المجال التربوي التعليمي من شأنه أن يساعد على تحسين نوعية حياة المسلمين بأوروبا، كما من شأنه أن يساعد على حسن تكيفهم مع محيطهم وتمكينهم من إعطاء صورة إيجابية عن الإسلام"(11).

وبقدر أهمية ومكانة هذا الحقل في الواقع الثقافي الإسلامي في الغرب، يعظم أثر التحديات والمعوقات التي تعترض سبل تفعيله وتعزيزه، ولعل أهم التحديات التي يمكن التأكيد عليها في هذا السياق ما يلي:

1- ضعف التأهيل التعليمي للجاليات الإسلامية:

لاشك أن من أبرز معوقات الواقع الثقافي في الغرب ضعف المستوى الثقافي والتعليمي للجاليات الإسلامية التي تحولت إلى مجتمعات استهلاكية منشغلة

بالجوانب المادية من حياتها ويرجع السبب في ذلك إلى انحدار معظم المهاجرين من أصول ريفية وانتشار الأمية في صفوفهم.

وإذا كان الأمر مقتصرا فيما مضى على الجيل الأول فحسب فإن ثمة مؤشرات خطيرة تدل على أن نسبة كبيرة من أبناء الجيلين الثاني والثالث قد طالها أيضا فشو الأمية والرغبة في العزوف عن التعلم والتمدرس.

2- الإخفاق الدراسي:

من الملاحظ أن ظاهرة الإخفاق والفشل وعدم القدرة على إتمام الدراسة سمة بارزة تطبع مجتمع أبناء المهاجرين المسلمين حتى أن نسبة الذين يبلغون المرحلة الجامعية نسبة ضئيلة، وترجع الأسباب في ذلك إلى جملة من العوامل منها:

2-1: سوء الأوضاع والظروف الاجتماعية والمادية التي يعيش فيها معظم أبناء الجاليات الإسلامية، مما ينعكس على مستوى التأهيل التربوي والتعليمي.

2-2: عدم اكتراث كثير من الآباء بدراسة أبنائهم وعجزهم عن مراقبتهم ومساعدتهم على إتمام دراستهم.

2-3: عدم ملاءمة المقررات والمناهج الدراسية الغربية لحاجيات ومتطلبات أبناء المهاجرين ويؤكد ذلك ظهور اتجاه داخل أوساط الأساتذة والمربين يدعو إلى تغيير السياسة التعليمية تجاه أبناء المهاجرين واعتماد تعليم أكثر تنوعا من الناحية الثقافية(12).

2-4: شيوع التمييز العنصري في الأوساط التعليمية الغربية من خلال اعتبار أبناء المهاجرين أجانب لا يستوون مع أبناء البلد المضيف، مما يفرز نوعا من الإحباط وخيبة الأمل المفضي إلى الفشل في الدراسة.

3- المناهج الدراسية ذات الطابع العلماني:

تشكل المناهج الدراسية والتربوية التي يتلقاها أبناء المهاجرين المسلمين في ديار المهجر جوهر المشكلة التربوية والتعليمية، فعندما يستوي الطفل أو الشاب المسلم مع غير المسلم في تلقي المنهج الدراسي الغربي المبني على ركائز علمانية وأسس لا دينية، فإن الطفل المسلم بعد أن يكون قد نهل من مختلف المناهج التربوية الغربية لا يستطيع الانفكاك من أثرها العميق في نفسه وروحه، كما أن

ثقافته الدينية والتربوية لا يمكن إلا أن تنحو المنحى الذي يتوافق مع المنهج الدراسي المتبع.

4-قلة الاهتمام باللغة العربية:

يدرك قادة العمل الثقافي الإسلامي في الغرب ومعهم أولياء أمور الناشئة المسلمة أن الأبناء المهاجرين قد أصبحت معرفتهم باللغة العربية تتدنى وتتناقص بصورة مثيرة، كما أن حصص دروس اللغة العربية الموازية والمدعمة لا تفي – في الغالب- بالمقصود، سواء على مستوى الإقبال عليها أو على مستوى الطرق البيداغوجية والوسائل التي تستخدم لتفعيلها.

وبالرغم من الجهود المحمودة التي تبذلها الجمعيات والمراكز الثقافية الإسلامية في سبيل وضع بنيات قوية لتعليم أسس اللغة العربية ومبادئ التربية الإسلامية، فإن ذلك لا يكاد يطال سوى فئة محدودة من أبناء الجاليات الإسلامية، في حين تبقى الفئة العريضة من الأطفال والشباب معرضة لتأثير المدرسة الغربية. ويمكن استشراف واقع تعليمي عربي فعال أكثر ملاءمة لأبناء المهجر من خلال ما يلي:

أولا : تحسيس وتبصير جميع الآباء وأولياء الأمور بأهمية توجيه أبنائهم وبناتهم إلى تلقي اللغة العربية ومبادئ التربية الإسلامية عن طريق مختلف أنظمة تعليم اللغة العربية بالدول الغربية والتي ينحصر معظمها فيما يلي:

أ-التعليم الموازي المتمركز في المساجد والمراكز الثقافية خلال أوقات الفراغ.

ب- التعليم في المدارس الخاصة التي تتمتع بوضعية قانونية معترف بها.

ج-التعليم في بعض المدارس الرسمية التي تسمح بتخصيص حصص لتعليم مبادئ اللغة العربية والتربية الإسلامية (فرنسا- بلجيكا-هولندة...).

ثانيا: العمل على تكوين معلمين أكفاء يتم تغييرهم واستبدالهم بصورة منتظمة من أجل بث روح التجديد والمنافسة المثمرة. ويمكن للإيسيسكو أن تشرف على هذه العملية بتنسيق وتعاون مع الجهات والهيئات المختصة.

ثالثا: تجاوز مرحلة إقرار مناهج دراسية مرتبطة بالبلدان الأصلية إلى مرحلة إعداد مناهج دراسية ملائمة لجميع شرائح أبناء الجاليات ومراعية لخصوصية المهجر.

رابعا: بذل مزيد من الجهود لتنشيط حركة اللغة العربية التي هي الوعاء الثقافي للأمة الإسلامية بين أبناء الجاليات والأقليات الإسلامية والعمل على التخفيف من وطأة اللغة الأجنبية وهيمنتها في الخطاب والتواصل.

سادسا : إذكاء روح الصراع والصدام بين الحضارتين الإسلامية والغربية.

لاشك أن من أبرز سلبيات العولمة على المستوى الحضاري كونها تدفع بقوة في اتجاه الصدام على مختلف الأصعدة وتخلق المناخ الدولي الذي يذكي الصراع على جميع المستويات مما يتعارض كليا مع قواعد القانون الدولي الذي يقر بالخصوصيات الثقافية والحضارية للأمم والشعوب ويكفل حق الفرد والجماعة في التشبث بها والعيش في كنفها " (13).

ومن الطبيعي أن يتأثر الواقع الثقافي في الغرب بتداعيات هذه النزعة التشاؤمية التي تهدف إلى تعزيز نظرية صدام الحضارات التي أعلنها الخبير الاستراتيجي الأمريكي صمويل هنتنجتون قبل بضع سنوات(14) كواحدة من أنشط النظريات والأفكار تداولا ونقدا وسجالا خاصة وانها جاءت منذرة ومحذرة من احتمال وقوع صدام بين الحضارتين الإسلامية والغربية.

فالنظرية تتضمن خيوطها التحذير من تنامي المد الإسلامي في الغرب من خلال استقرار الجاليات الإسلامية واستيطانها لكل ربوع الترب الغربي وكذا من خلال ابراز إحصائيات مهولة تبين سرعة انتشار الإسلام وثقافته وتزايد أعداد المسلمين وظهور قوتهم بشكل بارز داخل الأوساط والمجتمعات الغربية (15).

إن دعوى الخطر الإسلامي في الغرب الناجم عن تنامي عدد المسلمين وتشبثهم القوي بدينهم وثقافتهم التي تعتبر سببا من أسباب التخويف من الإسلام وجعله مرشحا للصدام مع الغرب قد أضحت تشكل عقدة لدى الغرب امتدت آثارها بشكل سلبي واضح إلى مختلف مكونات وسائل الإعلام الغربية التي صورت المسلمين في الغرب كخطر كامن ينتظر لحظة البروز.

ولا شك أن الهدف الرئيس من ذلك كله هو تحريك مشاعر الغربيين وتقوية روح العداء والكراهية لديهم تجاه مواطنيهم من المسلمين. وهو ما ازداد استفحالا وتفاقما بعد أحداث 11 شتنبر 2001. ومن أجل تبديد هذه المخاوف لدى الغربيين يجدر بالقائمين على الشأن الإسلامي والثقافي في الغرب التعامل مع دعوات إذكاء

روح الصراع والصدام بين الإسلام والغرب بحكمة وروية وبعد نظر. ويمكن اقتراح ما يلي:

*-الحرص على وضع استراتيجية للحوار والتعايش والتفاهم بدل استراتيجية المواجهة.

*-العمل على تكثيف النشاط الثقافي في المراكز الإسلامية ذات الإشعاع الواسع والتركيز من خلاله على إبراز مبادئ الإسلام السلمية والسمحة الداعية إلى التعايش والتعاون وحسن الجوار.

*-الدعوة إلى ترسيخ وتفعيل آليات الحوار الحضاري بين الإسلام والغرب من خلال تنظيم لقاءات علمية وثقافية بين النخب المثقفة من الجانبين.

*-تفعيل الحوار الإسلامي- المسيحي عن طريق تبادل الزيارات وتنظيم منتديات حوارية مشتركة بين الجمعيات الإسلامية والمسيحية والحرص على إعلانها عبر وسائل الإعلام الغربية (16).

*-الدعوة إلى التأكيد في كل مناسبة ثقافية يحضرها الإعلام الغربي على أن الوجود الإسلامي في الغرب ينتمي إلى حضارة عريقة ليس فيها ما ينذر بالصدام مع الحضارة الغربية. وإذا كان الإقبال على اعتناق الإسلام في صفوف الغربيين كبيرا فإن ذلك لا يعني أن الإسلام يشكل خطورة على الغرب.

*-السعي إلى حسن استغلال واستثمار أصوات المثقفين الغربيين المناهضين لدعوات الصدام والصراع بين الإسلام والغرب وذلك عن طريق استقطابهم ودعوتهم للمشاركة في الأنشطة الثقافية للمراكز الإسلامية.

*-دعوة مراكز البحث المنصفة والمعتدلين من ذوي النفوذ والقرار في الدوائر الثقافية والسياسية في الغرب إلى المحافظة على جسور التواصل والتفاهم والتعاون بين الحضارتين الإسلامية والغربية (17)، وإبراز الأرضية المشتركة على جميع المستويات وتشجيع مساعي ودعوات الحوار الحضاري الذي تمثل الأقليات والجاليات الإسلامية في الغرب أحد طرفيه.

*-البحث على منابر إعلامية في التلفزيون وأعمدة الصحف قصد التعبير من خلالها على معالم صورة الإسلام الصحيحة ومبادئه السلمية الهادفة إلى تعزيز روح التعايش والتعاون والحوار مع الثقافات والحضارات الأخرى. ويمكن

لأصحاب الكفاءات العلمية في الغرب القيام بهذا الواجب لأنهم أقدر من غيرهم على إيجاد فرص الحديث من خلال تلك المنابر الإعلامية.

الهوامـــش:

1-الاستراتيجية الثقافية للعالم الإسلامي، منشورات الإيسيسكو، الرباط 1997 ص 19.

2-د محيي الدين عبد الحليم : إشكاليات العمل الإعلامي بين الثوابت والمعطيات العصرية، كتاب الأمة رقم 64، قطر الطبعة الأولى 1998 ص 103.

3-وسائل الاتصال الحديثة وأثرها على المجتمعات الإسلامية، منشورات الإيسيسكو الرباط 1996 ص 136.

4-العولمة والهوية، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية الرباط 1997 ص 205.

5-د عبد العزيز بن عثمان التويجري : العولمة والحياة الثقافية في العالم الإسلامي، منشورات الإيسيسكو الرباط 2002 ص16.

6-المرجع السابق ص15.

7-العولمة والهوية، مرجع سابق ص 132.

8-د حسن عزوزي: نحو أرضية مشتركة لثقافة الحوار في عصر العولمة، ورقة مقدمة إلى ندوة " ثقافة الحوار في عصر العولمة" ليبيا (مارس 2002).

9- استراتيجية العمل الثقافي الإسلامي في الغرب ص 91.

10- الإسلام والمسلمون بأوروبا (جامعة الصحوة الاسلامية -الدورة الرابعة) 293/1.

11-استراتيجية العمل الثقافي الإسلامي في الغرب ص 110.

12-Ahmed Medhoune : La lutte contre l'échec scolaire chez les enfants d'immigrés. in l'annuaire de l'immigration Rabat 1994 p 402.

13-تراجع الوثيقة التي أصدرتها الإيسيسكو تحت عنوان "رؤية الإيسيسكو إلى المتغيرات الدولية " نص مرقون ص 1.

14-تم له ذلك بعد أن طور البحث المنشور بمجلة " الشؤون الخارجية الأمريكية" عام 1993 إلى كتاب حمل عنوان: " صراع الحضارات وإعادة صياغة النظام العالمي".

15-يراجع كتاب الدكتور المهدي المنجرة : الحرب الحضارية الأولى، الطبعة الأولى 1991 ص 147.

16-د عبد القادر طاش : رؤية مقترحة لتصحيح صورة الإسلام في الغرب، بحث منشور بمجلة "الإسلام اليوم" العدد 15/1998 ص 108.

17-د حسن عزوزي : الإسلام والغرب : قضايا ومواقف، الطبعة الثانية -فاس 2000، ص 65.